الدروس الأولية في
السيرة النبوية

تأليف العلامة

محمد شاكر

وكيل الجامع الأزهر

اعتنى به

يوسف علي حسن بدر

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

الدُّرُوسُ الأَوَّلِيَّةُ فِي

السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
جميع الحقوق محفوظة

مركز الراسخون
للتأصيل الشرعي

الكويت - الروضة
طريق المغرب السريع - ق٣
Website: www.eslah.com
E-mail: s66000477@gmail.com
(+965) 99050407
(+965) 22540536

دار الظاهرية

الكويت - مدينة سعد العبدالله
الدائري السادس - ق٣ - م٢٨
Website: www.daradahriah.com
E-mail: daradahriah@gmail.com
(+965) 99627333
(+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 4925192

أروقة للدراسات والنشر
(عمّان)
info@arwiqa.net
(+962) 64646163

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

بسم الله الرحمن الرحیم

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام.. وبعد:

فهذا كتاب «**الدروس الأولية في السيرة النبوية**» أَلَّفه العلامة محمد شاكر رحمه الله في القرن قبل الماضي للناشئة، وهو كتاب مختصر مفيد.

ولذا قرر مركز «**الراسخون**» إعادة طباعته، فأُوكِلَ إليّ مهمة العناية به، فقمت بالآتي:

١- ضبط الكلمات المُشْكِلة بالشكل، ووضع علامات الترقيم المناسبة.

٢- عزو الآيات القرآنية بذكر رقم الآية واسم السورة.

٣- ضبط الأحاديث النبوية ضبطاً كاملاً بالشكل.

٤- التعليق على ما يحتاج إلى تعليق، وما كان في الحاشية من تعليق المؤلف -وهو موضع واحد- ذيَّلْتُه بـ(المؤلف).

٥- بيان مواضع الأماكن التي ذكرها المؤلف، معتمداً على الكتب المختصة بهذا الشأن.

وأسأل الله العلي القدير أن ينفع به قارئه، وأن يجزي المؤلف خير الجزاء على ما كتبه في سيرة حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والحمد لله رب العالمين

يوسف علي حسن بدر

رمضان ١٤٣٩هـ يونيو٢٠١٨م

الدروس الاوليه

« فى »

السيرة النبوية

تأليف

المفتقر الى رحمة مولاه

محمد شاكر

{ شيخ علماء الاسكندرية }

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

الطبعة الثانية

{ سنة ١٣٢٦ هجرية : سنة ١٩٠٨ ميلادية }

« مطبعة مدرسة محمد على الصناعية بالاسكندرية »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه دروس مختصرة في سيرة سيد الأولين والآخرين، سيدِنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، من مولده إلى وفاته ﷺ، نُتْبعُها نبذةً من سيرة خلفائه الراشدين، وكلماتٍ وجيزةً في دُوَل الإسلام إلى الدولة العليَّة العثمانية، خلَّد الله مُلكَها وأيّد شوكتها وجمع بها شمل الإسلام والمسلمين؛ إنه على ما يشاء قدير[1].

وضعْتُها للمبتدئين من طلاب المدارس الدينية، والله المسئول أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم؛ إنه هو السميع العليم.

(١) ألغيت الخلافة العثمانية بتآمر دولي سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤م.

الدرس الأول: في نسبه ﷺ ومولده

* سيد الأولين والآخِرين وخاتم الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن حكيم[١] بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان.

وبإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام يتصل هذا النسب الشريف.

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم[٢]، فتجتمع معه ﷺ في جده حكيم[٣].

* وُلد ﷺ بمكة المشرفة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول عامَ الفيل[٤]، الذى يوافق سنة خمسمائة وإحدى وسبعين من ميلاد المسيح عليه السلام. وقد مات أبوه ﷺ بعد شهرين من حمله.

* وأرضعته:

- أمه

---

(١) الصواب قصي بن كِلاب.

(٢) الصواب زُهرة بن كِلاب.

(٣) الصواب كِلاب.

(٤) قصَد أبرهةُ -القائد عند النجاشى- هدْمَ الكعبة بجيشه ومعه الفيل، فأرسل الله ﴿ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ جماعات جماعات ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طين متحجر ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ورق الشجر الذى أكله الدود، فلم يُصِب أحدا منهم حجرٌ إلا هلك وحمى البيتَ ربُّ البيت (المؤلف).

- ثم ثُويبة -مولاة عمِّه أبي لهب- أياماً.

- ثم حليمة السعدية، فبقي عندها إلى أن تجاوز الرابعةَ من عمره، فردّتْه إلى أُمِّه خوفاً عليه؛ إذْ عِلمتْ أن رَجُلين أتَياه فشَقّا صدره الشريف وأخرجا منه شيئاً ثم أعاداه.

* ولما بلغ ست سنين توفيت أمه، وقد كان فى كفالة جدِّه عبد المطلب إلى أن مات وهو ابن ثمان سنين، فكَفَلَهُ عمُّه أبو طالب.

الدرس الثاني: في نشأته ﷺ .. إلى بعثته

* لما بلغ ﷺ الثانيةَ عشرةَ من عمره خرج إلى الشام مع عمِّه في تجارة له، فالْتَقَيا بَحِيرا الراهب، فعرف أنه النبي العربى الذى بشَّر به موسى وعيسى عليهما السلام، وقال لعمه: سيكون لهذا الغلام شأن عظيم، فارجع به واحذر من اليهود عليه.

* وكان ﷺ:

- معروفاً فى قومه بالشجاعة والإقدام، فحضر مع عمومته حرب الفِجَار[1] وهو ابن عشرين سنة[2].

- ومعروفاً بالصدق والأمانة، ولذلك اختارته خديجة بنت خويلد فسافر في تجارة لها إلى الشام، وربح لها ضِعف ما كانت تربح، وأخبرها غلامُها مَيْسَرة بما شاهد من آثار كمالاته ﷺ، فرغبت في زواجه فتزوجها.

* وما زال يتَّجِر مع التنسُّك حتى بعثه الله رحمةً للعالمين على رأس الأربعين من عمره، فجاءه جبريل عليه السلام وهو في غار حراء بأول وحي أنزله عليه وهو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

---

(١) الفِجَار بكسر الفاء بمعنى: المفاجرة كالقتال والمقاتلة وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا (الروض الأُنُف٢/ ١٤٦).

(٢) ذكر ابن هشام في السيرة أن عمره صلى الله عليه وآله وسلم يوم حرب الفِجار كان ١٤ أو ١٥ سنة.

فرجع رسول الله ﷺ إلى خديجة وأخبرها بما رأى!! فقالت: إنى لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمّة، ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقةَ بنِ نوفلٍ، فأخبره عليه السلام بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزَّل الله على موسى.

وفتَرَ الوحيُ مدة[1]، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، ثم تتابع الوحي إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وهى آخر آية نزلت، أو من أواخر الآيات نزولا.

(١) أي: تأخر عن النزول مدة من الزمن.

الدرس الثالث: في بعثته ﷺ.. إلى محاصرته في شعب أبي طالب

* كانت قريش ومن حولها من العرب يعبدون الأصنام، فلما بُعث ﷺ دعا قومه إلى التوحيد وترْكِ عبادة الأوثان، فكان أسبقَ الناس إلى الإيمان بالله ورسوله زوجتُه خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وخليفته أبو بكر الصديق.

* وكان يدعو إلى الإسلام سرًّا، فلما بلغ المسلمون نحوَ الأربعين أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الحجر:٩٤]، فجهر بالدعوة متحملا أذى قومه.

حتى صعِد الصفا ونادى بطونَ قريش، فلما اجتمعوا قال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فقال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا جمعْتنا؟! فأنزل الله في شأنه ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] إلى آخر السورة[1].

وما زال يدعوهم إلى الله ويحتمل أذاهم حتى انتصر له عمُّه حمزة، فأسلم.

* فلما اشتد الأذى عليه وعلى أتباعه هاجر جمع منهم إلى الحبشة، فيهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف.

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، ح٤٩٧٢.

ثم أسلم عمر بن الخطاب، وعاد المهاجرون من الحبشة، فلم يتمكن من دخول مكة إلا كلٌّ من وَجد له مُجِيرا[١].

* وحاول كفار قريش أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ! فانتصر له بنو عبد مناف، فضيَّقوا عليهم حتى يُسْلِموه للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة، وحاصروه مع بني هاشم في شِعْب أبى طالب، فجَهِدَ القومُ[٢] حتى كانوا يأكلون ورق الشجر، فأمر رسول الله ﷺ أصحابَه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فكانوا نحو المائة رجالاً ونساءً.

(١) أي: من يحميه منهم.
(٢) أي: اشتد عليهم الحال.

الدرس الرابع: في الخروج من الشِّعْب.. إلى أول دخول الأنصار فى الإسلام

* أقام رسول الله ﷺ مع بني هاشم في الشِّعب نحوَ ثلاث سنين، فانتصر لهم جمعٌ مِن أشراف قريش، فنقضوا الصحيفة بعد ما أخبر رسول الله ﷺ أن الأرَضة أكلتْها ولم تترك إلا اسمَ الله تعالى.

* وبعد خروجهم من الشِّعْب تُوفي عمُّه أبو طالب، ثم خديجة، فتزوج سَوْدة بنت زَمْعة، ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق، وقد بلغ رسول الله ﷺ الخمسين من عمره، فاشتد أذى قريش له بموت عمه، فهاجر إلى الطائف يلتمس النُّصرةَ من ثقيف، فلم يجيبوه!! وسلَّطوا عليه سفهاءهم يرمونه بالحجارة، حتى شجُّوا رأسه، وأدْمَوا وجهه. فعاد إلى مكةَ في حِمى المُطْعِم بن عَدِيّ.

* فلما بلغ اثنتين وخمسين سَنةً أكرمه الله بالإسراء والمعراج، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) وصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم عرج به إلى السموات السبع واحدةً فواحدةً، ثم إلى سِدرة المنتهى.

ففرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فلم يزل يسأله التخفيفَ حتى جعلها خمساً.

فلما أصبح أخبر قومه بما رأى، فكذّبوه وارتدّ بعضُ ضِعاف القلوب، فامتحنوه بنَعْت البيت، فنَعَتَه باباً باباً، ثم سألوه عن عِيرٍ لهم في الطريق، فأخبرهم بعدد جِمالها وأحوالها وساعة قدومها، فكان كما قال! ولم يزدهم

ذلك إلا كفراً وعناداً.

* فجعل يعرِض نفسه على القبائل لطلب النصرة والحماية، حتى لقي جماعة من يثرب فدعاهم إلى الله، فواعدوه المقابلة في الموسم المقبل.

الدرس الخامس: في بيعتَي العقبة.. إلى الهجرة

* في الموسم الذى تواعدوا عليه قَدِمَ من الأَوْس والخَزْرج اثنا عشر رجلاً، فاجتمعوا برسول الله ﷺ عند العَقَبة، فأسلموا وبايعوه على أن يمنعوه[1] مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم.

وانصرفوا إلى يثرب، فأرسل إليهم مصعبَ بن عُمَير وعبدَ الله ابن أمِّ مكتوم يُقْرِئانهم القرآن، ويُفَقِّهانِهم في الدين. فانتشر الإسلام فى دُوْر يثرب.

* ولما كان العامُ المقبل قدم إلى مكةَ عدد كثير من حُجّاج يثرب، فيهم المؤمن والمشرك، فقابل وفدٌ منهم رسولَ الله ﷺ فواعدهم بالمقابلة ليلا عند العقبة، وأمرهم بكتمان ذلك عن المشركين منهم.

فلما كان ثُلث الليل تسللوا إلى العقبة، فكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فوافاهم رسول الله ﷺ هناك وليس معه إلا عمُّه العباس وهو على دين قومه؛ ليتوثَّق عهْدَهم لابن أخيه، فبايعوه على أن يعبدوا الله وحده لا يشركوا به شيئا. وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم متى قدم عليهم.

ثم رجع هؤلاء الأنصار إلى المدينة، وفشا الإسلام هنالك.

* ولما علم كفار قريش بمبايعة الأنصار اشتد أذاهم لرسول الله ﷺ ولأصحابه، فأمرهم بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا جميعاً، ولم يبق إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليل من المستضعَفين.

---

(١) أي: يجيرونه ويحمونه.

وخافت قريش أن يهاجر صلى الله عليه وسلم في أَثَرِهم فتقْوى شوكتُه، فاجتمع رأيُهم على أن تشترك القبائل في قتله ليتفرق دمه فيها، واستعدّوا لذلك فى ليلة كانت هي الليلةَ التى أمره الله فيها بالهجرة إلى المدينة المنورة.

الدرس السادس: في هجرته ﷺ والسنة الأولى منها

* خرج رسول الله ﷺ من مكةَ ليلاً ومعه أبو بكر الصديق، فلما بلغا غارَ ثور[١] اختفيا فيه ثلاثة أيام، فأرسل كفار قريش في طلبهما، وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد ويدل عليه، فوصل المشركون إلى الغار وأعمى الله أبصارهم عمَّن فيه.

فلما انقطع الطلب خرجا سائرَينِ حتى قدِما المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلتْ من ربيع الأول (فكان هذا العام فاتحةَ التاريخ الهجريّ حينما أراد وضْعَه عمرُ بن الخطاب فى خلافته).

* فنزل رسولُ الله ﷺ بقُبَاء، وأسس فيها مسجدا، ثم تحوَّل إلى دار أبي أيوب الأنصاري، وأسس بفِنَائه مسجدَه الشريف، وآخى بين المهاجرين والأنصار.

* وقد ابتُلي المؤمنون في المدينة بعداوة اليهود من بنى قينقاع وقريظة[٢] والنضير، وبالمنافقين الذين ﴿.. إِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[البقرة:١٤].

فعاهد هؤلاء اليهودُ رسولَ الله ﷺ على أن لا يُعِينوا عليه عدوًّا، وأن يتركهم وما يَدِينُون. فلم يمْسسهم المسلون بسوء حتى نقضوا عهدَ الله وميثاقَه.

* ثم أَذِنَ الله لرسوله بقتال المشركين من قريش، ثم أمره سبحانه وتعالى

(١) يعني الغار الذي في جبل ثور، وهو جبل بأسفل مكة.(سيرة ابن هشام٤/ ١٣٤).
(٢) في الأصل: قريضة.

بذلك في قوله: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾[البقرة:١٩٠-١٩٢].

* وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشرَ سنوات، غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين غزوةً، سِوَى السرايا[1]:

١- ففي رمضان جهّز عمَّه حمزة في سَرِيَّة ليعترض عِيراً لقُريش، فلما التقى الفريقان حال بينهم حائلُ الصلح.

٢- وفي شوال جهز عُبيدةَ بن الحارث كذلك، فلما التقيا انهزم المشركون فلم يتبعهم المسلمون.

(١) سيكون ترقيم السرايا بالأرقام العربية [١] وترقيم الغزوات بالأرقام الأخرى [2].

الدرس السابع: في السنة الثانية وما فيها من الغزوات والسرايا

1/ في أوائل هذه السنة خرج رسول الله ﷺ غازيا، فلما بلغ وَدّان[١] رجع.

2/ ثم خرج ثانيا فلما بلغ بُوَاط[٢] رجع.

3/ ثم خرج ثالثا فلما بلغ العُشيرة[٣] رجع؛ لأن عِير قريش سبقته فى تلك الغزوات.

4/ ثم خرج في طلب كُرْز بن جابر فلم يدركه (وهى غزوة بدر[٤] الأولى).

٣- ثم جهز عبدَ الله بن جحش في سرية، فلما بلغوا نخلة[٥] التقوا بِعيرٍ لقريش، فقتلوا وأسروا ورجعوا بالغنائم.

5/ ثم خرج عليه الصلاة والسلام فى رمضان لغزوة بدر الكبرى في ثلاثِمائة وثلاثةَ عشرَ رجلاً ليعترض عِيرَ قريش وهى راجعة من الشام، فلما علم أبو سفيان بخروجه استنفر قريشا للمحافظة على نفائس أموالها، فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا. وقد نزل المسلمون فى بدر.

---

(١) اندثرت وَدّان من زمن بعيد، وموضعها جنوب شرق مستورة يمر بها وادي الأبواء، من أودية الحجاز التهامية.(السابق ص١٤، ٣٣٢).

(٢) بُواط بين المدينة وينبع. انظر (السابق ص٥٠).

(٣) العُشيرة عند ينبع، انظر(السابق ص٢٠٩).

(٤) هي اليوم بلدة بأسفل وادي الصفراء، تبعد عن المدينة (١٥٥) كيلا وعن مكة «٣١٠» أكيال، وتبعد عن سِيف البحر قرابة «٤٥» كيلا، (السابق ص: ٤١).

(٥) على الطريق القديم بين مكة والطائف، السابق (ص:٣١٧).

فلما أقبلت قريش قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا تُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي».

وتبارز جماعة من المسلمين والمشركين، ثم تلاحم الفريقان، وخرج رسول الله ﷺ من العَرِيش يحرض المسلمين على القتال ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر:٤٥]، وأخذ حَفْنَةً من الحصباء ورمى بها قريشا وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ».

فلم تكن إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولَّوْا مُدْبِرين، فتبعهم المسلمون يَقتُلون ويَأسِرُون، فقَتلوا من المشركين نحو السبعين، وأسَرُوا مثلهم، ولم يستشهد من المسلمين إلا أربعةَ عشرَ رجلاً، فأمر رسولُ الله ﷺ بإلقاء قتلى المشركين في قَليب[1] بدر، وأرسلَ إلى المدينة يبشِّر مَن فيها من المسلمين بما أُوتوا من النصر المبين.

ثم عادوا بالأسرى إلى المدينة بعد قسمة الغنائم، فافْتَدَتْها قريش من المسلمين.

6/ ثم خرج لغزوة بني قَيْنُقاع؛ حيث نقضوا ما عاهدوا اللهَ عليه، فلما أحسُّوا بالعجز عن المقاومة صالحوا رسول الله ﷺ على الجلاء والخروج من المدينة، فأجْلاهم وتَركوا أموالهم غنيمة للمسلمين.

7/ ثم خرج لغزوة السَّوِيق[2]؛ وذلك أن أبا سفيان جاء إلى المدينة في جمْعٍ من كفار قريش، فأحرق بعض نخلها، وقتل أنصاريًّا لقيه، ثم هرب بمن

---

(١) أي: بئر.

(٢) السَّوِيق:طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحلق. (المعجم الوسيط).

معه وألقَوا أمتعتهم وما يحملون من أجْرِبة[1] السَّوِيق، فلم يدركهم المسلمون، وغنموا ما تركوه.

* وفي هذه السنة فُرضت الزكاة، وفرض صوم رمضان، وحُوِّلت القبلة إلى الكعبة بعد ما لبث عليه الصلاة والسلام بالمدينة يصلي إلى بيت المقدس ستةَ عشرَ شهراً.

(١) أجربة: جمع جِرَاب، وهو وعاء يحُفظ فيه الزاد ونحوه. (المعجم الوسيط).

الدرس الثامن: في السنة الثالثة وما فيها من الغزوات والسرايا

8/ خرج رسول الله ﷺ لغزوة غَطَفان الذين تجمعوا للإغارة على المدينة، ولما علموا بمسيرِه هربوا إلى رؤوس الجبال فرجع.

9/ ثم خرج لغزوة بني سُليم كذلك، ولما علموا بمسيره تفرقوا فرجع.

٤- ثم أرسل زيد بن حارثة في سرية يترقب عِيراً لقريش، فالتقى الفريقان عند (القَرَدة[١])، فهربوا وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين.

10/ ثم خرج لغزوة أُحُد[٢] في شوال؛ وذلك أن قريشا جاؤوا في ثلاثة آلاف مقاتل حتى نزلوا بذِي الحُليفة[٣]، فخرج رسول الله ﷺ للقائهم فى ألْفٍ من المهاجرين والأنصار، فلما كان بين المدينة وأُحُدٍ رجع عبد الله بن أُبيٍّ ابنُ سَلول وتبعه ثلاثمائة من المنافقين.

فلما بلغوا أُحُداً صف النبي ﷺ جيشه، وأوقف الرماة وراءه، وقال لهم: «لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ نُصِرْنَا أَوْ غُلِبْنَا».

وابتدأ القتال بالمبارزة، ثم التحم الجيشان فانهزم المشركون وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم، فترك الرماة مواقعهم التي نُهوا عن مفارقتها! وكَشفوا ظهر المسلمين للعدو، فانقضّ عليهم حتى تفرقوا، ولم يثبت مع النبي

(١) في المنطقة الواقعة شمال شرقي المدينة، (السابق ص:٢٥١).
(٢) من أشهر جبال العرب، يُشْرِف على المدينة من الشَّمال، السابق (ص: ١٩).
(٣) هو ميقات أهل المدينة ومن مر به من غيرهم، جنوب المدينة وهي اليوم بلدة عامرة، وتعرف عند العامة ببِئَار علي، (السابق ص: ١٠٣).

ﷺ إلا نفر قليل، وشُجَّ وجهُه عليه الصلاة والسلام، ودخل من المِغْفَر[١] حلْقتان في وجنتيه[٢]، وعالج أبو عبيدة نزْعهما فكُسرت ثَنِيَّتاه[٣] عند إخراجهما.

وقُتل في هذه الغزوة من المسلمين فوق السبعين، ومثَّل المشركون بكثير من قتلى أُحد، حتى إن هنداً زوج أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخذتْ كبده فلاكتها لتأكلها وأرسلتها.. ثم وقف أبو سفيان على الجبل ونادى: يوم بيوم بدر، وموعدكم بدرٌ العامَ المقبل.ثم رجع المشركون إلى مكة.

وبعد ما دفن المسلمون شهداءهم رجعوا إلى المدينة، ثم أمرهم عليه الصلاة والسلام بالخروج ثانيا، فساروا حتى وصلوا حمراء الأسد[٤]، فلما علمتْ قريش بمقدَمه عليه السلام ألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا إلى مكة بعد أن كانوا أصَرُّوا على الكَرّة لمهاجمة المسلمين في المدينة المنورة.

(١) المِغْفَر: نسيج من الدروع على قدر الرأس.
(٢) الوجنة: ما ارتفع من الخدين(المعجم الوسيط).
(٣) الثنية إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، والثنايا أربع، ثنتان من فوق وثنتان من تحت (المعجم الوسيط).
(٤) جبل أحمر جنوب المدينة على (٢٠) كيلا، إذا خرجت من ذي الحليفة في اتجاه مكة، معجم المعالم الجغرافية (ص: ١٠٥).

الدرس التاسع: في السنة الرابعة وما فيها من الغزوات والسرايا

٥- في بداية هذه السنة عقد رسول الله ﷺ لواء لأبي سلمة المخزومي لمقاتلة بني أسد، فلما أغار عليهم هربوا فاستاق مواشيهم ورجع.

٦- ثم أرسل سرية تحت إمرة عاصم بن ثابت الأنصاري عيوناً على قريش، فغدرت بهم هُذيل فقُتلوا.

٧- وأرسل أخرى إلى نجد فى سبعين من القراء، فلما بلغوا بئر معونة قامت عليهم رِعْل وذَكوان وعُصَيّة فقاتلوهم حتى قُتل القراء عن آخرهم[١].

11/ ثم نقض بنو النضير عهدهم مع رسول الله ﷺ وهمُّوا بالفتك به، فأمرهم بالجلاء، فهموا به، ثم امتنعوا؛ اعتماداً على وعد المنافقين بنصرتهم.

فخرج عليه الصلاة والسلام لقتالهم، فتحصنوا ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢] فحاصرهم ستَّ لَيالٍ، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فصالحوه على الجلاء، وأن يكف عن دمائهم، ولهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب.. فأجابهم إلى ذلك.

12 / ثم خرج عليه الصلاة والسلام في سبعمائة مقاتل لقتال بني محارب وثعلبة من نجد؛ حينما بلغه أنهم يتهيئون لقتاله، فلما وصل ديارهم لم يجد إلا نسوةً أسَرَهنّ، فنمى[٢] الخبر إلى الرجال فتفرقوا في رؤوس الجبال، وألقى الله

(١) إلا كعب بن زيد ابن النجار، وعمرو بن أمية الضمري.
(٢) في الأصل: فنمى الرجال الخبر.

الرعب فى قلوبهم.

13/ ثم خرج عليه الصلاة والسلام في شعبان بألف وخمسمائة من أصحابه إلى بدر الآخرة للقاء أبي سفيان كما توعده في وقعة أُحد، فلما وصلوا بدراً لم يجدوا أحداً من قريش؛ فإن أبا سفيان رجع إلى مكة بقومه قبل أن يبلغ بدراً؛ لأن قريشا كانوا مُجْدِبين[1].

وكانت بدرٌ سوقاً يعقد للتجارة في كل عام، فأقام المسلمون ببدر لا يشاركهم فى تجارته أحد.

(١) هو انقطاع المطر فترة طويلة.

الدرس العاشر: فى السنة الخامسة وما فيها من الغزوات والسرايا

14/ علم النبي ﷺ أن جمعا من الأعراب بدومة الجندل[١] يريدون الدنوّ من المدينة، فخرج إليهم فى ألف من أصحابه، فلما بلغهم الخبر تفرقوا، واستاق المسلمون ماشيتهم ورِعاءهم.

15/ ثم خرج في شعبان لقتال بني المُصْطَلِق، فلما بلغ المُرَيْسِيع[٢] التقى الفريقان فانهزم المشركون، ومن نجا من القتل أُسر، كما أُسرت النساء، فمَنّ المسلمون على الأسرى بالعتق لمّا تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث.

16/ ثم تجهزت قريش ومن مَالَأَهَا من القبائل لقتال المسلمين في عشرة آلاف مقاتل بتحريض بني النضير، فجمع عليه الصلاة والسلام جيوشه فكانوا ثلاثة آلاف، وأمرهم بحفر الخندق شماليّ المدينة من الحَرّة الشرقية إلى الحرة الغربية، وأقام الحراس عليه، فلم يستطع المشركون اقتحامه! واقتصروا على الترامي بالنبال.

فحاصروهم أياما اشتد فيها الحال على المسلمين، خصوصا وأن يهود قريظة[٣] قد انتهزوا هذه الفرصة فنقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هي قرية في الجوف شمال تيماء، ضمن إمارة حائل، (السابق ص: ١٢٧).
(٢) جزع من وادي «حورة» أحد روافد ستارة، (السابق ص: ٢٩٠) فهي بين مكة والمدينة، وإلى مكة أقرب.
(٣) في الأصل: قريضة.

وسلم!! فـ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:١١].

فهدى الله نُعيماً بن مسعود الأشجعي للإسلام، وألهمه أن يشغل بتفريق الأحزاب، فحذّر بني النضير من قريش وغطفان، وحذّر قريشاً وغطفان من بني النضير، فتفرقت قلوبهم ولم يأمن بعضهم بعضا، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».. فاستجاب الله دعاءه، وأرسل عليهم ريحاً باردة في ليلة مظلمة، فأكْفَأت[1] القدور واقتلعت الخيام، فخافوا أن يداهمهم المسلمون وأن ينقضّ بعضهم على بعض، فتفرقوا في الظلام وذهب كل فريق من حيث أتى.

17/ ولما رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة أمر أصحابه أن يلحقوا بني قريظة في ديارهم، فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة، فطلبوا أن يصالحهم على الجلاء كما فعل ببني النضير، فأبى، حتى نزلوا على حكم سيدهم[2] سعد بن معاذ، فحكم بقتل الرجال وسَبْي النساء والذراري، واستراح المسلمون من شرهم.

* وفي هذا العام فرض الله الحج على الناس من استطاع اليه سبيلا.

(١) أي: كَبَّتْها وقلبتها (المعجم الوسيط).
(٢) إنما هو حليفهم، وسيدهم كعب بن أسد القرظي.

الدرس الحادي عشر: في السنة السادسة وما فيها من الغزوات والسرايا

٨- أرسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة في سرية فداهموا بني بكر بن كلاب، فهرب بعضهم وقُتل البعض الآخر، واستاقت السريةُ النَّعمَ والشياه.

18/ ثم خرج عليه الصلاة والسلام لغزو بني لِحْيان، فلما علموا بمَقدَمه تفرقوا في الجبال فرجع.

19/ ثم خرج إلى الغابة لاسترداد اللِّقاح التي أغار عليها عيينة بن حصن، فاستنقذوا منه اللقاح وهرب بمن معه.

٩- ثم أرسل عُكاشة بن مِحْصَن في سرية للإغارة على بني أسد، فهربوا ورجعت السرية.

١٠- ثم أرسل محمد بن مسلمة إلى ذي القَصّة[١]، فقَتل الأعداءُ من معه، فلما علم عليه الصلاة والسلام بذلك أرسل إليهم أبا عبيدة بن الجراح، ففروا هاربين، فاستاق نَعمهم ورجع.

١١- ثم أرسل زيد بن حارثة إلى بني سُليم في الجَموم[٢]، فهربوا واستاقت

(١) يقول عاتق البلادي: لا يعرف اليوم ذو القَصّة، ثم استنتج مما ذكره ياقوت الحموي أنها على الطريق من المدينة إلى العراق المار بالقصيم. وهذا التحديد يجعلها قريبا من الطرف (الصويدرة) اليوم، وهذه كانت ديار غطفان، والغزوة كانت إلى بني ثعلبة من غطفان. انظر(معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص: ٢٥٥).

(٢) ماء لا زال معروفا على السفوح الشرقية لحرة كشب، وهو اليوم للروقة من عتيبة.

السرية مواشيهم وأسرت من بقي منهم.

١٢- ثم أرسله ليعترض عيرا لقريش، فاستولى عليها وأسر من معها من الرجال.

١٣- ثم أرسله للإغارة على بني ثعلبة بالطرف، فهربوا واستاق مواشيهم ورجع.

١٤- ثم أرسله للإغارة على بني فزارة في وادي القرى[١]، فداهمهم وقتل منهم جمعا كثيرا.

١٥- ثم أرسل عبد الرحمن بن عوف لقتال بني كلب في دومة الجندل، فلما عرض عليهم الإسلام أسلم البعض وقبِل الجزيةَ البعضُ الآخر.

١٦- ثم أرسل علي بن أبي طالب لغزو بني سعد بفَدَك[٢]، فلما بلغ ديارهم هرب الرعاة وحذروا القوم، فتفرقوا واستاقت السرية أنعامهم.

١٧- ثم أرسل عبد الله بن رواحة إلى أُسير بن رِزام سيد يهود خيبر بعد كعب بن الأشرف[٣]، فتراضيا على المسير إلى النبي عليه الصلاة والسلام لعقد الصلح، وبينما هم في الطريق هَمَّ بالغدر فقتله عبد الله، وقام المسلمون على

وحرة كشب: حرة تقابل حرة الحجاز من الشرق بينهما وادي عقيق عشيرة، إلا أن كشبا أصغر، وأقصر مدى في الأرض، وهي تمتد من الجنوب في صحراء السي إلى الشمال عند الصحراء المتصلة بمهد الذهب «معدن بني سليم قديما»، السابق ص: ٨٦.

(١) يعرف اليوم بوادي العلا: مدينة عامرة شمال المدينة على قرابة (٣٥٠) كيلا، السابق ص: ٢٥٠.

(٢) قرية من شرقي خيبر على وادٍ يذهب سيله مُشرِّقا إلى وادي الرمة، تعرف اليوم بالحائط، السابق ص: ٢٣٥.

(٣) الصواب: بعد سلّام بن أبي الحُقيق، فإنه كان سيد يهود خيبر، لا كعب بن الأشرف الذي كان في المدينة.

من معه من اليهود فقتلوهم جميعا.

20/ ثم خرج رسول الله ﷺ معتمرا[1] في ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، فلما بلغ الحديبيةَ أرسل عثمانَ بن عفان ليخبر قريشا أنهم جاؤوا معتمرين، فأبتْ قريش أن يدخل عليهم مكة في هذا العام، واعتقلت عثمان.

فاستعد رسول الله ﷺ لقتالهم، ودعا الناس للبيعة، فبايعوه على الموت بيعةَ الرضوان، وبعث المشركون طلائعهم فأسر المسلمون منها اثني عشر رجلا.

(١) في الأصل: متعمرا، وكذا ما بعدها: متعمرين.

الدرس الثاني عشر: في صلح الحديبية[١] ودعوة ملوك الأرض إلى الإسلام

خافت قريش أن تدور عليها الدائرة، فأطلقتْ سبيل عثمان وصالحت رسولَ الله ﷺ:

(١) على وضع الحرب بين قريش والمسلمين عشرَ سنين.

(٢) وعلى أن يَرُدَّ المسلمون إلى قريش من هاجر بإسلامه منهم، ومن فرَّ إليهم من المسلمين لا يُلزَمون بِرَدِّه.

(٣) وعلى أن يَعدِل عن العمرة في هذا العام ليعتمر في العام المقبل.

(٤) ومن أراد أن يدخل في عهد قريش فلَهُ ذلك، ومن شاء أن يدخل في عهد محمد فله ذلك.

فقَبِل عليه الصلاة والسلام شروطَهم؛ حقناً للدماء، وكر راجعاً بعد أن تحلَّل من عمرته بالحلق ونحْر الهدْي، وفي هذا الصلح نزلت سورة الفتح.

* ولما وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش وأمنت الطرق، أخذ عليه الصلاة والسلام يدعو ملوك الأرض إلى الإسلام ويكاتبهم، واتخذ خاتما نقشه «محمد رسول الله»:

١) فأرسل دِحْية الكلبي إلى قيصر ملك الروم، فغلب عليه حبُّ المُلك! و ردّ الرسولَ ردًّا جميلا.

٢) وأرسل الحارث بن عمير إلى أمير بُصْرَى، فتعرض له شُرَحْبيل بن

(١) الحديبية على (٢٢) كيلا غرب مكة على طريق جدة القديم، (السابق ص: ٩٤).

عمرو في الطريق فقتله.

٣) وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شِمْر أمير دمشق، فأحسن إلى الرسول وصرَفه[١].

٤) وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْقِس أمير مصر، فأكرم الرسول، وبعث بالهدايا الى رسول الله ﷺ.

٥) وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، فاعتذر بقلة أعوانه.

٦) وأرسل عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، فمزَّق الكتابَ، فمزق الله ملكه كلَّ ممزق.

٧) وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوَى ملك البحرين[٢]، فأسلم وأسلم معه بعض قومه.

٨) وأرسل عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعبدالله[٣] ابنَي الجُلَنْدى ملِكَي عُمان فأسلما.

٩) وأرسل سَليط بن عمرو العامري الى هَوذة بن علي ملك اليمامة[٤]، فلم يسلم حتى مات.

---

(١) بل تكبر وأراد تجهيز جيش لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنه هلك بعد ذلك بقليل، انظر تاريخ الطبري (٢/ ٦٥٢)، والوفا في أخبار المصطفى لابن الجوزي (٢/ ٧٣٧) وتاريخ ابن كثير(٤/ ٢٦٧).

(٢) البحرين كان اسمًا لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت «هَجَر» قصبته -أي عاصمته-، وهي «الهفوف» اليوم وقد تسمى «الحَسَا» ثم أطلق على هذا الإقليم اسم «الأحساء». معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٤٠).

(٣) الصواب:عبد بن الجلندى لا عبد الله.

(٤) في نجد.

الدرسُ الثالثَ عشرَ: في السنة السابعة وما فيها من الغزوات والسرايا

21/ خرج رسول الله ﷺ لغزو يهود خيبر[١] الذين حزّبوا الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق، فحاصر حصونها الثمانية حتى افتتحها عن آخرها، وغنم المسلمون في هذه الغزوة من الذخائر والأموال شيئا كثيرا، ولم يستشهد من المسلمين إلا خمسة عشر رجلا.

وفي هذه الغزوة أهدت يهودية إلى رسول الله ﷺ كُراع شاة[٢] مسمومة، فأخذ منها مضغة ثم لَفَظها[٣] واحتجم، وجيء له بالمرأة فاعترفت وقالت: قلت: إن كان نبيا لن يضره، وإن كان كاذبا أراحنا الله منه.. فعفا عنها.

وبعد هذا الفتح أرسل عليه السلام إلى يهود فَدَك، فصالحوه على أن يحقن دماءهم ويتركوا له أموالهم، ففعل.

١٨- ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى جمع من هوازن بتُرَبة[٤]، فلما علموا بذلك هربوا، فرجع.

---

(١) تبعد خيبر عن المدينة (١٦٥) كيلا شمالا على طريق الشام. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص: ١١٨).

(٢) أي: ساقها.

(٣) أي: أخرجها ورماها. (المعجم الوسيط).

(٤) تُرَبة، وادٍ من أودية الحجاز الشرقية طويل، أعلاه لغامد، ووسطه للبقوم، وأسفله لسبيع. وبه بلدة عامرة تقع شرق الطائف على قرابة (٢٠٠) كيل، تعرف بتربة البقوم، وينصرف الاسم اليوم إليها. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص: ٦٢).

١٩- ثم أرسل بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مُرّة، فتكاثروا عليه حتى قتلوا غالب سريته.

٢٠- ثم أرسل غالب بن عبيد الله إلى أهل المِيْفَعة[1]، فقتلوا بعضا وأسروا آخرين.

٢١- ثم أرسل بشير بن سعد إلى عُيَيْنة بن حصن ومن معه، فتفرقوا واستاقت السريةُ أنعامَهم.

* ثم خرج عليه الصلاة والسلام لعمرة القضاء ومعه أصحابه الذين صَدَّهم الكفار عن البيت عام الحديبية، فدخل عليه الصلاة والسلام مكة وأمامه عبد الله بن رواحة يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

ثم دخلوا المسجد الحرام وطافوا بالبيت آمنين محلِّقين رؤوسَهم ومقصِّرين لا يخافون، و﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الفتح:٢٧].

(١) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن الميفعة وراء بطن نخل [عند الحديث٤٢٦٩ من صحيح البخاري] وبطن نَخْل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة. معجم البلدان (١/ ٤٤٩) وهي الغزوة المعروفة على الحُرَقة من جُهَينة كما قال الحافظ ابن حجر، وردت في البخاري (٤٢٦٩) ومسلم(٩٦).

الدرسُ الرابعَ عشرَ: في السنة الثامنة وما فيها من الغزوات والسرايا

٢٢- أرسل عليه الصلاة والسلام غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح، فاستاقوا أنعامهم وعادوا، فخرج القوم في أثرهم، فأرسل الله سيلا شديدا حال بينهم وبين ما يريدون.

٢٣- ثم أرسله ليقتص من بني مُرّة بفَدَك، فأحاطت السرية بالأعداء فلم يفلت منهم أحد، واستاقوا أنعامهم.

٢٤- ثم أرسل كعب بن عمير إلى ذات أطلاح بالشام[1]، فتكاثر القوم على السرية ولم ينجح منها إلا كعب.

٢٥- ثم جهز عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة في ثلاثة آلاف للقصاص من قاتلي رسوله إلى أمير بُصْرَى، فلما بلغوا مؤتة والتقى جيش المسلمين بجيش الروم -وهم مائة وخمسون ألفاً- قُتل زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة.

فتولى قيادةَ الجيش خالدُ بن الوليد، وجعل يخادع الكفار بالتقهقر، فأوقع الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا عن قتاله.

٢٦- ثم أرسل أبا عبيدة بن الجراح لغزو جُهَينة، فساروا، ولما يئسوا من

(١) كذا قال: من أرض الشام، وكان الأقدمون -يرحمهم الله- يلجئون إلى مثل هذا التحديد الواسع إذا غُمَّ عليهم المكان، وصاحب السيرة ما كان معنيا كثيرا بتحديد المواضع، إنما كان يهمه الحدث، وكانت أرض الشام عندهم ما تجاوز تيماء شمالا، أي على بعد نيف وستمائة كيل شمال المدينة، وهو باتفاق الجغرافيين من أرض الحجاز لا من أرض الشام، حيث عد بعضهم مَعَان من الحجاز، ولم أجد من يعرف ذات أطلاح اليوم. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.ص: ٣١).

لقاء العدو رجعوا.

22/ ثم تجهز رسول الله ﷺ لفتح مكة وقتال قريش؛ لنقضها العهد بعدوانها على حلفائه من خُزَاعة، فخرج في رمضان ومعه عشرة آلاف مجاهد، حتى بلغ مكة، فدخلها بعد صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان، فطاف بالبيت، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعُود في يده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الإسراء:٨١] ثم أَمر بها فأُخرجت.

ثم جلس للبيعة في المسجد، فبايعه الرجال ثم النساء.

ثم أرسل خالد بن الوليد إلى بطن نخلة[١]، فهدم «العُزَّى».. وعمرو بن العاص فهدم «سُوَاع».. وسعد بن زيد فهدم «مَنَاة».

23/ ثم خرج عليه الصلاة والسلام في اثني عشر ألفاً لقتال هوازن وثقيف، الذين استعدوا لحربه، وقد أُعجب المسلمون بكثرتهم!! فلم تُغْنِ عنهم شيئا؛ إذِ التقت مقدمة الجيش بكَمِين من العدو فولت الأدبار منهزمة، و﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[التوبة:٢٦].

واجتمع إليه أصحابه وحملوا على الكفار، فهزموهم شر هزيمة، فقتلوا وأسروا وغنموا ما لا يُعَدُّ ولا يحصى (وهي غزوة حُنَيْن[٢]).

24/ ثم سار إلى الطائف ليُجْهِز على بقية ثقيف، فدخلوا حصنهم وتمنَّعوا فيه، فارتحل عنهم ودعا لهم بالهداية، ثم جاءت وفود هوازن مسلمين، فرد عليه الصلاة والسلام إليهم نساءهم وأبناءهم.

* ثم اعتمر عليه السلام، وعاد إلى المدينة لثلاثٍ بَقِين من ذي القعدة.

---

(١) على الطريق القديم بين مكة والطائف، (السابق ص:٣١٧).

(٢) حُنَين وادٍ من أودية مكة، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا، يسمى اليوم وادي الشرائع. (السابق ص: ١٠٧).

الدرسُ الخامسَ عشرَ: في السنة التاسعة وما فيها من الغزوات والسرايا

٢٧- أرسل عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب لهدم الفُلْس -صنم طيئ[١]- فهدمه وأحرقه وقتل من عُبَّاده وأسر، واستاق السبي والنعم.

25/ ثم خرج عليه الصلاة والسلام لغزو الروم حينما بلغه تجمعهم بتبوك[٢] لحربه، فلما بلغها لم يجد شيئا مما بلغه، فأقام أياما، جاءه في أثنائها صاحب أيلة[٣] وأهل جرباء وأهل أَذْرُح[٤] وأهل ميناء[٥]، فصالحهم على الجزية، ثم رجع بجيشه إلى المدينة.

* وعلى أثر رجوعه قدم وفد ثقيف فأسلموا وحسُن إسلامهم، وعادوا إلى قومهم فهداهم الله إلى الإسلام.

ثم أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم اللات -صنم ثقيف- فهدموه حتى سَوَّوْه بالأرض.

---

(١) عند جبلَـيْ طيئ، وهما اليوم جبلا شَمَّر، ويقال لهما: أجأ وسلمى.-ضمن إمارة حائل- . (السابق ص: ٢٣٧).

(٢) تبوك: مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، لها إمارة تعرف بإمارة تبوك، وهي تبعد عن المدينة شمالا (٧٧٨كم).(السابق ص: ٥٩).

(٣) تعرف اليوم باسم «العقبة» ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج يضاف إليها «خليج العقبة». (السابق ص: ٣٥).

(٤) وتنطق الجرباء بالتعريف ، وهي وأذرح متلازمتان أبدا، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة مَعَان على قرابة ٢٢ كيلا (السابق ص: ٨١).

(٥) ميناء: سواحل ما حول مَدْيَن، أي سواحل خليج العقبة. (السابق ص: ٣٠٨).

* وفي هذا العام أرسل أبا بكر إلى مكة ليحج بالناس، وأتْبعه عليًّا ليقرأ على الناس سورة براءة، فقرأها ثم نادى: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ثم دخلت السنة العاشرة

٢٨- وفيها أرسل عليَّ بن أبي طالب إلى بني مذحِج، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا! فقاتلهم حتى انهزموا، ثم أسلموا.

* وفيها حج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع، وأنزل الله عليه يوم عرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

* وفيها تواردت وفود العرب على رسول الله ﷺ ليبايعوه على الإسلام:

فمنها وفد نصارى نجران[1]، وهؤلاء أبوا أن يُسلموا، وقبلوا الجزية، ومنها وفود عبد القيس، ووفود بني حنيفة، ووفد طيئ، ووفد كِنْدة، ووفد ملوك حِمْيَر، ووفد همْدان، ووفد بني سعد، وبني فَزارة، وبني أسد، وبني عذرة، وبني محارب.. وكثير غير هؤلاء، وكلهم أسلموا وانتشر الإسلام في قبائلهم.

---

(١) نجران مدينة عريقة عُرفت منذ أن عُرف للعرب تاريخ، تتكون من مجموعة مدن صغيرة في واد واحد، وتقع على الطريق بين صعدة وأبْها، على قرابة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة. (السابق ص: ٣١٤).

الدرسُ السادسَ عشرَ: في السنة الحادية عشرة، ومرضه ﷺ ووفاته

* لأربعٍ بَقِينَ من صَفَر جهز رسول الله ﷺ جيشا برئاسة أسامة بن زيد -وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره- ليقتصّ من قاتل أبيه، وفي الجيش من كبار المهاجرين والأنصار أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد.

فعقد لأسامة اللواء، ولم يخرج بالجيش لاشتداد المرض على رسول الله ﷺ، حيث توعَّك من أوائل صفر.

* ولما اشتد عليه المرض استأذن أزواجَه أن يمرَّض في بيت عائشة بنت أبي بكر، فأَذِنَّ له، ولما تعذر عليه الخروج للصلاة قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». ولما رأت الأنصارُ اشتدادَ وجَعِه أطافوا بالمسجد، فخرج إليهم يتوكأ على عليٍّ والفضل، حتى جلس في أسفل مِرقاة المنبر، وثار إليه الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ!! هَلْ خُلِّدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بَعَثَ اللهُ فَأُخَلَّدَ فِيكُمْ؟! أَلَا إِنِّي لَاحِقٌ بِرَبِّي، وَإِنَّكُمْ لَاحِقُونَ بِي، فَأُوْصِيكُمْ بِالمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْراً، وَأُوْصِي المُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[سورة العصر].

وَإِنَّ الأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةِ أَحَدٍ، وَمَنْ غَالَبَ اللهَ غَلَبَهُ، وَمَنْ خَادَعَ اللهَ خَدَعَهُ، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢].

وَأُوْصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ خَيْراً؛ فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي الثِّمَارِ؟! أَلَمْ يُوَسِّعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ؟! أَلَمْ يُؤْثِرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الخَصَاصَةُ؟! أَلَا فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، أَلَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ.

أَلَا وَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ[1] وَأَنْتُمْ لاَحِقُونَ بِي، أَلَا فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، أَلَا فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَداً فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَنْبَغِي[2]».

* وفي ضحوة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول فارق رسول الله ﷺ دنياه ولحق بمولاه، وله من العمر ثلاث وستون سنة، ودُفن في حجرة عائشة -حيث قُبض- ليلةَ الأربعاء، بعد أن غسله علي بن أبي طالب بمساعدة عمه العباس، وكُفِّن في ثلاثة أثواب، وصلى عليه المسلمون فُرادى لا يؤمهم أحد.. صلى الله عليه وسلم.

(١) أي: أتقدمكم إلى الآخرة (انظر النهاية لابن الأثير).

(٢) قال الحافظ العراقي: مرسل ضعيف، وفيه نكارة، ولم أجد له أصلًا. المغني عن حمل الأسفار ص١٢١٦ لحديث ٤٤٠٤.

الدرس السابعَ عشرَ: في زوجاته وأولاده وقرابته وخدمه وكُتّابه

* تزوج رسول الله ﷺ خمسَ عشرةَ امرأة، دخل بإحدى عشرة منهن، وتُوفي عن تسعٍ سوى سُرِّيَّته[1] مارية القبطية. هنَّ:

١) عائشة بنت أبي بكر، ولم يتزوج بِكراً سواها.

٢) وحفصة بنت عمر.

٣) وسَودة بنت زَمْعَة.

٤) وزينب بنت جحش.

٥) وميمونة.

٦) وصفية.

٧) وجُوَيْرِية.

٨) ورملة أم حبيبة.

٩) وهند أم سلمة.

* وأولاده عليه الصلاة والسلام سبعة، ثلاثةٌ ذكور:

١) القاسم.

٢) وعبد الله.

٣) وإبراهيم.

---

(١) السُّـرِّيَّة: هي الجارية المملوكة (المعجم الوسيط).

وأربعٌ إناث:

٤) فاطمة زوج علي بن أبي طالب.

٥) وزينب زوج أبي العاص.

٦) ورُقية.

٧) وأم كلثوم، تزوج بهما عثمان بن عفان واحدة بعد أخرى.

وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإن أمه مارية القبطية.

ولم يعش من أولاده عليه الصلاة والسلام بعده إلا فاطمة، فإنها ماتت بعده بستة أشهر.

* وإخوته من الرضاع:

١) مسروح بن ثويبة.

٢) وأبو سلمة ابن عمته.

٣) وأبو سفيان ابن عمه الحارث.

٤) وعمه حمزة.

٥) وعثمان بن مظعون.

٦) وعبد الله ٧) والشيماء ولدا حليمة السعدية.

* وأخواله: عبد يغوث، والأسود، وعمير.

وخالاته: فريصة[1]، وفاختة.

وأعمامه: أبو طالب، وأبو لهب، وحمزة، والعباس، والحارث، وضِرار، والمغيرة، وعبد الكعبة، والمقوّم، والغَيْداق.

---

(١) الصواب: فُرَيعة (الإصابة لابن حجر).

وعماته: صفية أم الزبير بن العوام، وعاتكة، وأروى، وأُميمة، وبَرّة، وأم حكيم.

ومن مواليه: زيد بن حارثة، وأسلم، وأبو رافع، وثوبان.

ومن خدمه: أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر، وأبو ذر الغفاري.

ومن كُتّابه: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وزيد بن ثابت وكان ألزمَهُم لهذا الشأن وأخصَّهم به.

الدرس الثامنَ عشرَ: في الاهتداء بهديه ﷺ في سيره وسيرته

ها أنت أيها الحريص على الاهتداء بهدي خاتم الأنبياء والمرسلين قد وقفت على خلاصة مهمة من سيرته ﷺ، وعرفت كيف كان عليه الصلاة والسلام يجاهد في الله حق جهاده، وعلمت كم قاسى من الأهوال والمصاعب في إرشاد الخلق إلى طريق الحق، وماذا لقي من كفار قريش في مكة وهو يدعوهم إلى الإسلام وإلى ملة أبيهم إبراهيم، وماذا كان حال اليهود والمنافقين الذين كانوا معه في دار هجرته، وما أعد الله لهم من الخذلان والهزيمة.

فإن رسول الله ﷺ لم يفارق الدنيا حتى طهر الله البيت الحرام من الأوثان، ودخلت قريش في الإسلام، وانتشر الدين الإسلامي في جزيرة العرب، وخضع لحكمه القاصي والداني، وعهِدَ عليه الصلاة والسلام إلى الخليفة من بعده أن لا يترك في جزيرة العرب ديناً غير دين الإسلام.

فهذه سيرته ﷺ وهذا جهاده في الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته، فإن كنت أيها الراغب في الاقتداء به ﷺ تحب أن تكون من خاصة المهتدين بهدْيه، فاسلك طريقه عليه الصلاة والسلام، وابذل نفسك ومالك وقواك وما ملكت يمينك في خدمة هذا الدين الحنيف؛ فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١].

واحرص كلَّ الحرص على العمل بشريعته ﷺ والتخلق بأخلاقه الكريمة النبوية:

- فأدِّ ما فرض الله عليك،
- وارضَ بما قسم الله لك،
- واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

الدرس التاسعَ عشرَ: في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

* لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتشاوروا فيمن يختارونه للخلافة بعده، فكان الرأيُ الغالب اختيارَ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فبايعه بالخلافة المهاجرون والأنصار لثلاثَ عشرة خلت من ربيع الأول من السنة الحاديةَ عشرة.

فأول ما بدأ به أنْ سيَّر جيش أسامة الذي جهزه النبي عليه الصلاة والسلام، وشيَّع الجيش بنفسه ماشياً وأسامةُ راكب وهو يقول: ما عليّ أنْ أُغَبِّرَ قدمي ساعة في سبيل الله.

فرجع أسامة بالسبي والغنائم مؤيَّداً منصوراً.

* وقد ارتد كثير من العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ ومنعوا الزكاة، فجهز رضي الله عنه الجيوش لمحاربتهم، فنصره الله عليهم، ودانت له العرب بأجمعها.

* وكانت الممالك العظمى المجاورة للإسلام إذ ذاك: مملكة الفرس في الشرق، ومملكة الروم في الشمال، فابتدأ بمملكة الفرس، وجهز إليها سيفَ الله خالد بن الوليد، فما زال يحارب حتى تقلص ظِلُّ ملك الفرس عن ريف العراق، ثم صرفه إلى الشام ومحاربة مملكة الروم، فهزمهم شر هزيمة.

* ولِسَبع خَلَوْنَ من جمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ حُمَّ[١] أبو بكر، فلما اشتد عليه المرض جمع كبار الصحابة واستشارهم في العهد لعمر بن الخطاب، فرضُوا به، ثم كتب له عهدَ الخلافة، وتُلِي على جمهور المسلمين، فكلهم أجاب بالسمع والطاعة.

ثم تُوُفي رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة وله من العمر ثلاث وستون سنة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ.

وكانت ولايات الإسلام في آخر خلافته: مكة والطائف وصنعاء[٢] وحضرموت[٣] وخولان وزُبيد ونجران والبحرين وجُرَش[٤] ودُومة الجندل، وآخر كلمة تكلم بها رضي الله عنه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، وكُفِّن في ثوبَيه كما أوصى، وصلى عليه عمر بن الخطاب خليفتُه، ودُفن في حُجرة عائشة، وجُعل رأسه عند كتفَيْ رسول الله ﷺ.

---

(١) أي: أصابته الحُمَّى.

(٢) مدينة عظيمة على سراة -أي جبال- اليمن، وهي عاصمته. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص: ١٧٨).

(٣) حضرموت، إقليم عظيم مشهور من أقاليم جزيرة العرب، وهو - جغرافيا - معدود من اليمن، وهو في جنوب الجزيرة، يحده شمالا رمل الأحقاف المتصل بما يعرف اليوم بالربع الخالي، وجنوبا بحر العرب المتصل بالمحيط الهندي، وشرقا عُمان والبحر العربي أيضا، وغربا مقاطعة عدن أبين وقضاء مأرب. (السابق ص: ١٠١).

(٤) هي مدينة عظيمة كانت قائمة إلى القرن الرابع،ثم اندثرت جُرَش، وتوجد آثارها اليوم قرب خميس مشيط. (السابق ص: ٨١).

الدرس العشرون: في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

* بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه، فقام بالأمر أتم قيام، وكثرت الفتوحات في أيامه.

وفي عهده تم الاستيلاء على ولايتَي مصر والشام العظيمتين، وجِهات من الأناضول[١]، وكانت له مع الفرس وقائع مشهورة، منها وقعة الجسر، والقادسية[٢] وهي أكبر واقعة كانت بين الفرس والعرب، وفتح المدائن[٣]،

(١) الأناضول شبه جزيرة في غرب آسيا على البحر المتوسط وتعرف بآسيا الصغرى ومعظمها يشمل أراضي تركيا.[ويكيبيديا].

(٢) تقع القادسية بين النجف والحيرة إلى الشمال الغربي من الكوفة، وإلى الجنوب من كربلاء. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.ص: ٢٤٨). وهي على بعد ٦٠ميلا شمال بغداد (بلدان الخلافة الشرقية. ص٧١).

(٣) المدائن تحت بغداد ببضعة أميال، على جانبَي نهر دجلة (بلدان الخلافة الشرقية ص٤١، ٥٢).

والبُرْس[١] وبابل[٢] وكُوثَى[٣] وساباط[٤] وجلولاء[٥].

وفي أيامه خُطِّطت مدينة البصرة والكوفة، وما زالت جيوش الإسلام تتوغل في بلاد العجم[٦] حتى فتحوا تبريز[٧] والباب وهو الفاصل بين الفرس و أرمينية ودولة الروسيا[٨].

وكان فتْح مصر على يد عمرو بن العاص، فعقد مع القبط عهد الصلح، وأقر المُقَوْقِس مَلكا عليهم، وارتحل الروم من ذلك العهد إلى القسطنطينية.

* ولم يحفظ التاريخ لغير عمر ما حفظه لهذا الخليفة العادل من شدة الحرص على مصالح الرَّعِيَّة وتَفَقُّد أحوالهم بنفسه، وقيامه مقام الأب الشفوق لكل بائس ويتيم، مع الورع والزهد اللذَين لا يُشَقُّ غباره فيهما[٩].

---

(١) تقع البرس قريبا من بابل في الجنوب الشرقي منها. انظر (أطلس الخليفة عمر رضي الله عنه ص٨٥).

(٢) هي مدينة العراق العظيمة ذات التأريخ المجيد، المشهورة بحدائقها: «حدائق بابل المعلقة» وكانت إحدى عجائب الدنيا القديمة السبع. وقد اندثرت بابل، تقع آثار بابل بين النهرين، وهي إلى الفرات أقرب، في الجنوب من بغداد، وإلى الشرق من كربلاء، بجوار مدينة الحلة. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص: ٣٩).

(٣) أطلال كوثى الآن يسمى موضعها تل إبراهيم، وهي جنوب المدائن بين المحاويل والصويرة (بلدان الخلافة الشرقية ص٩٤،٩٥). وشمال شرق بابل قريبا منها (أطلس الخليفة عمر رضي الله عنه ص٨٥).

(٤) تقع ساباط جنوب المدائن على فرسخ منها. (بلدان الخلافة الشرقية ص٥٢).

(٥) تسمى اليوم مدينة السعدية، في قضاء خانقين محافظة ديالى. (بلدان الخلافة الشرقية ص٨٧).

(٦) المقصود بها فارس.

(٧) تقع تبريز في شمال غرب إيران، بين أرمينية وتركيا.

(٨) تسمى باب الأبواب، وهي مدينة دربند على بحر قزوين شمال باكو عاصمة أذربيجان. انظر(بلدان الخلافة الشرقية ص٢١٤، ٢١٥) بتصرف.

(٩) يعني لا يسبقه أحد فيهما.

* وفي العشر الأواخر من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين طعنه أبو لؤلؤة -عبد المغيرة بن شعبة- وهو في صلاة الفجر، فلما علموا أنه ميت من طعنته طلبوا منه أن يستخلف على المؤمنين، فقال: «إنْ أستخلفْ فقد استخلفَ من هو خير مني، وإن أتركْكم فقد تركَكم من هو خير مني».

ثم قال: «ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين تُوُفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ»، فسمَّى عليًّا وعثمان والزبير وسعداً وطلحة وعبدالرحمن بن عوف، وقال: يَشهدكم عبدُالله بن عمر وليس له من الأمر شيء، ثم توفي رضي الله عنه في آخر ذي الحجة، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وله من العمر ثلاث وستون سنة، ودُفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وهو أول من سُمي أميرَ المؤمنين، وأول من أرَّخ بالسنة الهجرية.

الدرس الحادي والعشرون: في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

* لما أصيب المسلمون بقتل عمر اجتمع أهل الشورى، فكانت الأغلبية لعثمان، فبويع بالخلافة لثلاث مَضَيْنَ من المحرم سنة أربع وعشرين، فجعل أمر الشام كله في أول خلافته لمعاوية بن أبي سفيان، واستخلف على بعض الولايات غير من ولّاهم عمر بن الخطاب، فأبلى معاوية يومئذ أحسن البلاء، وغزا برًّا وبحراً حتى بلغ عَمُّوريّة[١].

* وفي عهد عثمان فتح سعيد بن العاص بقية بلاد العجم، ومضت جيوش المسلمين في طريقها حتى افتتح أرمينية[٢]، وكان قد أمر معاوية بإنشاء السفن العظيمة لحمل جيوش المسلمين ففعل، وبهذه السفن تمكن من فتح جزائر البحر الأبيض المتوسط، كقبرص وكريد[٣] ورودس، فوصلت مملكة العرب من الشرق إلى الهند، ومن الغرب إلى المحيط الإطلانطيقي[٤]، ومن الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب إلى بحر الهند والنوبة.

---

(١) كانت عمورية مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركية، فتحها الخليفة المعتصم سنة ٢٢٣ وفتح أنقرة، ولم يبق اليوم من عمورية سوى آثار. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص: ٢١٧).

(٢) شرق تركيا اليوم بينها وبين أذربيجان.

(٣) تسمى اليوم كريت.

(٤) هو المحيط الأطلسي.

* وفي عهده أمر بجمع القرآن العظيم، فجُمع ورُتبت سُوَرُه ونُسخ في المصاحف على الترتيب الذي هو عليه إلى يومنا هذا.

* واستمر سنين من مدة خلافته راضياً مرضياً، وكان أحبَّ إلى الناس من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديداً عليهم، وكان عثمان ليِّن العريكة شديد الحياء كثير الإحسان، ولكنهم في أُخْرَيات أيامه نقموا عليه توسيد أمر الولايات لنفر من أهل بيته؛ ولّاهم قمعاً للفتن وإعلاءً لكلمة الحق، فظن الناس به ظنوناً هو بريء منها.

وما زال يعاملهم بالرفق واللين والإحسان حتى نَفَذَ القدر المحتوم، واستشهد رضى الله عنه لثمانِ عشرةَ خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله من العمر اثنان وثمانون سنة.. ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، فكان مقتله رضى الله عنه فاتحة الفتن والشرور والشقاق الذي دَبَّ دَبِيبُهُ بين المسلمين. تولاهم الله برحمته.

الدرس الثاني والعشرون: في خلافة علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما

* بويع بالخلافة في اليوم التالي لقتل عثمان رضي الله عنه، فبايعه أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولم يتخلف عن بيعته إلا نفر قليل، منهم مروان بن الحكم وبنو أمية، وذهبوا بقميص عثمان الذي قُتل فيه إلى معاوية بالشام ليطالبوا بدمه.

* وكان عليٌّ -كرم الله وجهه- ممن شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك، فابتدأ بتغيير عُمّال عثمان، وخصوصاً من كانوا سبباً في الخروج عليه، وأرسل إلى معاوية يدعوه إلى البيعة، فأبى واشترط عليه إقامة الحدود، ودفْعَ قتَلة عثمان إلى أوليائه، وخرج عليه طلحة والزبير، ولَحِقَا بعائشة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام وحرّضاها على المطالبة بدم عثمان.

واضطرب المسلمون يومئذ اضطرابا شديداً، فكانت وقْعةُ الجمل[١] التي قُتل فيها ما لا يعد ولا يحصى، ومن بينهم طلحة.. أما الزبير فإنه لقي عليًّا فقال له علي: ألا تذكر قول رسول الله ﷺ لك في شأني: «لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»؟ فرجع الزبير وحلف لا يقاتل عليًّا[٢]، فتبعه ابن جرموز وقتله بوادي السباع[٣]

(١) كانت معركة الجمل بين مدينتي البصرة والكوفة في جمادى الآخرة سنة٣٦هـ، وسميت بذلك على الجمل الذي كان يحمل أمنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٦) وعزاه لإسحاق في مسنده.

(٣) وادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال (معجم البلدان ٥/ ٣٤٣).

غدراً وهو يصلي.

* ثم تلا هذه الواقعةَ وقعةُ صِفِّين[١] بين جيشَي علي ومعاوية، وبعد محاربات -جرت فيها الدماء أنهاراً- اصطلح الفريقان، ولكن نيران الفتن لم يطفئها ذلك الصلح!! فقد شقّت الخوارج عصا الطاعة على علي كرم الله وجهه، فجعل يحاربهم حتى انقضى عهده -كرم الله وجهه- بتآمر الخوارج على قتله، فقتله ابن مُلْجم في فجر الجمعة سابعَ عشرَ رمضان سنة أربعين، وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنة، فكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر. وكان قد ترك المدينة واتخذ الكوفة مقرًّا للخلافة.

* ثم بايع أهل الكوفة بالخلافة ابنه الحسن، فأقام بالكوفة نحواً من ستة أشهر ثم سار إليه معاوية، فاختار سبط رسول الله ﷺ أن ينزل عن الخلافة لمعاوية، وأن يحقن دماء المسلمين، فكان ذلك مصداقاً لقوله ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[٢]. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين.

---

(١) تقع صفين في جانب الفرات الأيمن بإزاء الرقة بين العراق والشام. انظر (بلدان الخلافة الشرقية ص١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح رقم ٢٧٠٤.

الدرس الثالث والعشرون
في دُوَل الإسلام الكبرى.. إلى هذا العصر الحَمِيدي[١]

* تنازل الحسن بن علي كرم الله وجهه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، فكان مبدأ انتقال الخلافة إلى بني أمية، وظلت في أيديهم إلى سنة ١٣٢هـ، فكانت خلافتهم إحدى وتسعين سنة، تقلّدها أربعةَ عشرَ خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان بن محمد المعروف بالحمار، وبقتله انقرضت هذه الدولة من المشرق.

ثم ابتدأت في المغرب حينما دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأندلسَ، وبويع بالخلافة سنة ١٣٨هـ، وانقرضت بموت هشام بن محمد الملقب بالمعتمد في سنة ٤٨٨هـ، فكانت خلافتهم ثلاثمائة وخمسين سنة تداولها عشرون خليفة.

* وبينما كانت الدولة الأموية في المشرق آخذة في الانحلال، كانت الدولة العباسية بالعراق آخذة في دَور التكوين، فبويع عبدُالله بن محمد السفاح بالخلافة في ربيع الأول سنة ١٢٨هـ، ولبثت الخلافة العباسية في العراق إلى أن انقرضت بموت عبدالله المستعصم في سنة ٦٥٦هـ، فكانت خلافتهم ٥٢٨[٢] سنة تداولها سبع وثلاثون خليفة.

ثم قامت الدولة العباسية ثانياً في مصر سنة ٦٥٩هـ، فكان أولَ الخلفاء

(١) يقصد بالعصر الحميدي عصر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله.
(٢) في الأصل: ٥١٨

أبو القاسم أحمد المستنصر بالله، قام بتوليته الظاهر بيبرس البندقداري، وآخرهم المتوكل على الله محمد بن المستمسك، قبض عليه السلطان سليم سنة ٩٢٢هـ، وأخذه معه إلى القسطنطينية، فكانت خلافتهم ٢٦٣ سنة تداولها ست عشرة خليفة.

* وعلى إثر سقوط الدولة العباسية في العراق أخذت الدولة العثمانية في الروم أن تتكون، فكان أول من أخذ بزمامها عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه سنة ٦٩٩هـ، وما زالت الخلافة العامة تنتقل في هذا البيت الكريم إلى أن تولاها سنة ١٢٩٣هـ أمير المؤمنين في هذا العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني ابن السلطان عبد المجيد، أيَّد الله مُلْكَه، وكسا الإسلامَ على يديه ثوب الإجلال والتعظيم، وقد تداول الخلافة من آل عثمان إلى وقتنا هذا أربع وثلاثون خليفة.

ومن الأعمال الجليلة التي تمت في خلافة مولانا السلطان عبد الحميد الثاني سكة الحديد الحجازية، أدام الله توفيقه لصالح الأعمال.

الدرس الرابع والعشرون
في ولاية مصر مِن فتْحها إلى الآن

* جهز أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جيشاً بقيادة عَمْرو بن العاص لفتح مصر، فافتتحها في السنة الثامنةَ عشرةَ بعقد الصلح مع المقوقس -أميرِها من قِبَل ملك الروم- على الجزية والخضوع للخلافة الإسلامية، وما زالت يتعاقبها الولاة على عهد الخلفاء الراشدين وعلى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية، ويستقل بإدارتها السلاطين.

* حتى افتتحها السلطان سَليم في سنة ٩٢٣هـ، وما زالت يتعاقبها الولاة من قِبَل سلاطين الدولة العَلِيّة العثمانية إلى أن احتلّتها الدولة الفرنساوية في سنة ١٢١٣هـ، وأُخرجت منها في سنة ١٢١٦هـ بعد محاربات عنيفة.

ثم تولاها من قِبَل الدولة العلية:

١) محمد علي باشا رأس العائلة الكريمة الخديوية في ثاني صفر سنة ١٢٢٠هـ، فقبض على زمام الأعمال فيها قبْضةَ الرجل الحازم العارف بخفيّات الأمور، وارتقت ولاية مصر في عهده ارتقاءً يغبطها عليه المتقدمون والمتأخرون[١].

(١) يذكر المؤرخون إنشاء محمد علي للمصانع وتطوير شبكة الري والزراعة، وبعث الطلاب للدراسة في الخارج، بدعم فرنسي وأحيانا بريطاني،لكنهم يذكرون مع ذلك أنه كان بوابة الاحتلال الأوروبي الفكري والعسكري لمصر والبلاد العربية، مع قسوته وظلمه للناس. انظر (التاريخ الإسلامي محمود شاكرالسوري٨/ ٤٨١-٤٩٨ واقعنا المعاصر محمد قطب ص٢٠٥-٢١٠- سياسة محمد علي باشا التوسعية، د. سليمان الغنام-ورسالة في

٢) واستمر كذلك إلى أن تنازل عن الحكم لولده إبراهيم باشا في سنة ١٢٦٤هـ لاشتداد المرض عليه، فلم يلبث إبراهيم باشا حتى توفي في سنة ١٢٦٥هـ.

٣) فتولى زمام الأحكام بعده عباس باشا الأول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا إلى أن توفي في شوال سنة ١٢٧٠هـ.

٤) فقام بالأمر بعده سعيد باشا ابن محمد علي باشا إلى أن توفي في رجب سنة ١٢٧٩هـ.

٥) فقام بالأمر بعده إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا إلى أن أُقِيل من الحكم في ٦ رجب سنة ١٢٩٦هـ.

٦)ووَلِيَ الأمرَ من بعده ولده محمد توفيق باشا إلى أن توفي في جمادَى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ.

وفي عهده قامت الثورة العُرَابية المشؤومة، وانتهت في سنة ١٢٩٩هـ بما لا يجهله أحد وهو احتلال الإنكليز لوادي النيل.

٧) وتولى الحكم من بعده ولي عهده ولدُه الأمير المعظم (عباس باشا حلمي الثاني)، فقام بالأمر خير قيام، ونهض بالأمة المصرية نهضة علمية استلفتت أنظار العالم أجمع.

نسأل الله أن يصلح به شؤون رعيته، وأن ينقذنا من ظلمة الجهل، وأن يأخذ بأيدينا إلى الصراط المستقيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر المصري أبو فهر ص١٣٥-١٤٦ -ومعلومات مفرقة في الجزأين الثالث والرابع من تاريخ الجبرتي).

يقول المعترف بالعجز والتقصير، محمد شاكر شيخ علماء الإسكندرية: قد تم تلخيص هذه الدروس في ربيع الثاني من سنة ١٣٢٦ هجرية، والحمد لله أولاً وآخراً.

مراجع التعليقات

- الإصابة في تمييز الصحابة. للحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٣٢٨ هـ.

- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. سامي المغلوث. مكتبة العبيكان الرياض. ط الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

- بلدان الخلافة الشرقية.تأليف كي ليسترينج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

- تاريخ ابن كثير البداية والنهاية دار الريّان - مصر - ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

- التاريخ الإسلامي محمود شاكر الحرستاني (ت:١٤٣٦هـ). المكتب الإسلامي بيروت. ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ط الثامنة.

- تاريخ الجبرتي. عجائب الآثار عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (ت:١٨٢٢م) دار الكتب المصرية. القاهرة. عن طبعة بولاق ١٩٩٨م تحقيق د. عبدالرحيم عبدالرحمن.

- تاريخ الطبري. الرسل والملوك. الإمام الطبري (ت:٣١٠هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف. مصر. ط الثانية (د.ت).

- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر أبو فهر (ت:١٤١٨هـ) مكتبة الخانجي. القاهرة. ط الثانية ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- الروض الأُنُف شرح سيرة ابن هشام، أبو القاسم السهيلي (ت:٥٨١هـ)،تحقيق : عمر عبد السلام السلامي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا (١٨١١- ١٨٤٠)، د/ سليمان الغنام. المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب. الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

- صحيح البخاري.

- صحيح مسلم.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر. دار المعرفة. مصورة عن الطبعة السلفية.

- معجم البلدان، ياقوت الحموي.

- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي الحربي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.ط الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- المعجم الوسيط في اللغة.

- المغني عن حمل الأسفار (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) للحافظ العراقي (ت:٨٠٦هـ) اعتنى به أشرف عبدالمقصود. مكتبة دار طبرية. الرياض ط الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

- موقع ويكيبيديا.

- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير.

- واقعنا المعاصر محمد قطب (ت:١٤٣٥هـ) دار الشروق. مصر. ط الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م..

- الوفا في أخبار المصطفى لابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ). تحقيق مصطفى عبدالواحد. دار الكتب الحديثة. مصر. ط الأولى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

المحتويات

الموضوع صفحة

مقدمة ٧
الدرس الأول: في نسبه ﷺ ومولده ٩
الدرس الثاني: في نشأته ﷺ .. إلى بعثته ١١
الدرس الثالث: في بعثته ﷺ.. إلى محاصرته في شعب أبي طالب ١٣
الدرس الرابع: في الخروج من الشِّعْب..إلى أول دخول الأنصار فى الإسلام .. ١٥
الدرس الخامس: في بيعتَي العقبة.. إلى الهجرة ١٧
الدرس السادس: في هجرته ﷺ والسنة الأولى منها ١٩
الدرس السابع: في السنة الثانية وما فيها من الغزوات والسرايا ٢١
الدرس الثامن: في السنة الثالثة وما فيها من الغزوات والسرايا ٢٤
الدرس التاسع: في السنة الرابعة وما فيها من الغزوات والسرايا ٢٦
الدرس العاشر: فى السنة الخامسة وما فيها من الغزوات والسرايا ٢٨
الدرس الحادي عشر: في السنة السادسة وما فيها من الغزوات والسرايا ٣٠
الدرس الثاني عشر: في صلح الحديبية ودعوة ملوك الأرض إلى الإسلام ٣٣
الدرسُ الثالثَ عشرَ: في السنة السابعة وما فيها من الغزوات والسرايا ٣٥
الدرسُ الرابعَ عشرَ: في السنة الثامنة وما فيها من الغزوات والسرايا ٣٧
الدرسُ الخامسَ عشرَ: في السنة التاسعة وما فيها من الغزوات والسرايا ٣٩
الدرسُ السادسَ عشرَ: في السنة الحادية عشرة، ومرضه ﷺ ووفاته ٤١

الدرس السابعَ عشرَ: في زوجاته وأولاده وقرابته وخدمه وكُتّابه ٤٣
الدرس الثامنَ عشرَ: في الاهتداء بهديه ﷺ في سيره وسيرته ٤٦
الدرس التاسعَ عشرَ: في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤٨
الدرس العشرون: في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٥٠
الدرس الحادي والعشرون: في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٥٣
الدرس الثاني والعشرون: في خلافة علي بن أبي طالب وابنه الحسن
رضي الله عنهما ٥٥
الدرس الثالث والعشرون: في دُوَل الإسلام الكبرى.. إلى هذا العصر
الحَمِيدي ٥٧
الدرس الرابع والعشرون: في ولاية مصر مِن فتْحها إلى الآن ٥٩
مراجع التعليقات ٦٣
المحتويات..... ٦٧